



عقد في قطر قبل عدة أيام مؤتمر لبحث "الوحدة الوطنية والعيش المشترك"، قرأت خبره فعجبت منه عجباً شديداً، من الموضوع ومن التوقيت ومن الهدف الذي عُقد من أجله.

لا يبدو أن المقصود هو العيش المشترك بين العرب السنة وغيرهم من الجماعات العرقية والدينية، من أكراد ونصارى وإسماعيليين ودروز وسائر الأقليات الصغيرة.

فإن هؤلاء جميعاً معتادون على العيش المشترك منذ الأزل ولا مشكلة في علاقة أي منهم بالآخرين.

لقد عاشوا بسلام وانسجام قروناً طويلاً فوق أرض واحدة، وسوف يستمرون كذلك بعد الثورة، لأنهم يعلمون أن النظام اعتمد على مجرمين وخونة من كل الطوائف والأعراق، وأن الثورة شارك فيها أيضاً أحراراً من كل الطوائف والأعراق. ولئن كانت هوية الثورة إسلامية فإن هذا هو البديهي الطبيعي في ثورة شعبٍ ثلاثة أرباعه من المسلمين، وهذه حقيقةٌ يعرفها كل الأحرار من أبناء الأقليات ولا يجدون في الاعتراف بها غضاضة، كما أن المسلمين لا يجدون غضاضة في الاعتراف بمشاركة الآخرين لهم في الثورة والوطن.

كل هؤلاء تتسع لهم سورياً وينبغي أن يعيشوا فيها بسلام، وأحسب أنهم قادرون على العيش المشترك بلا مؤتمرات ولا توصيات. فمن بقي إذن؟

لم يبقَ إِلَّا النصيريُون (العلويُون).

نعم، لا يبدو أن المؤتمر عُقد إلا من أجل تكريس التعايش بين النصيريَّين من جهة وبقية مكوّنات المجتمع السوري من جهة أخرى، وعلى رأسها جمهُور المسلمين السنة الذين يشكّلون أغلبية سكان سوريا.

فماذا يريد المؤتمرون؟

هل يريدون أن يقنعوا بأن النصيرييin شركاء لنا في الوطن، لهم ما لنا وعليهم ما علينا؟

أ يريدون أن ننسى كل المأسى والجرح وأن نعانق القاتل ونقبل السفاح؟

ألا انتظرتم زماناً حتى تجف دماء الأبراء وترقا دموع الثاكلين؟

حتى ننسى المأساة والآلام والمعذبات والأحزان؟

أيحدث عاقلٌ عن التعايش بين الجانِي والضحية ولِمَا يَدْفَنُ الثَّكَالَى موتاهم ولا أعادوا إنشاء ما تهدم لهم من بنين؟

* * *

من قال إننا نحتاج إلى مؤتمرات تعلمنا ما ينبغي أن نصنعه بالنصيريين في سوريا الحرة بعد النصر؟

إِنَّ لَنَا مِنْ دِينِنَا وَعِقْلَنَا وَتِجَارَبَنَا الْمُرِيَّةُ الطَّوِيلَةُ مَعَهُمْ مَا يَهْدِنَا إِلَى الصَّوَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

إن طالبنا قومً بالانتقام الأعمى والقتل العشوائي والاضطهاد الطائفي أبینا عليهم لأن ديننا ينهانا عن تلك الأعمال وأخلاقنا وسلامقنا لا تسمح لنا بها.

وإنْ دعانا داعٍ إلى التسامح والغفران والعفو والتيسير وأراد أن نفتح الباب لهم ليكونوا شركاء متساوين في الوطن ردّنا عليه دعوته وقلنا له: لا، ليس بعد كلِّ الذي كان.

لن نذهب بغير القصاص العادل بلا ذيادة ولا نقصان.

إن القصاص العادل يقتضي أن يُساق المجرمون جمِيعاً إلى المحاكم، لا فرقَ بين مجرم كبير منهم ومجرم صغير، وأن بطيئة فيه حكم العدالة حزاءً عليه ما اقترفوه من جرائم وموبقات، أما غدرهم من الأرباء من أبناء الطائفة فلهم مثناً الأمان.

على أنّ من تمام العدل أن يُحرّم النصيريون من المشاركة السياسية خمسين عاماً يُحكّمون فيها ولا يَحكّمون، لأن التاريخ يشهد أنهم في ظل دولتنا في عدالة وعافية وأمان وأننا في ظل دولتهم في ظلم وخوف وعدوان.

أعلمُ أَنَّ فِي النَّصْرِ بَنْ شَفَاعَةً وَأَبْيَاءً لِمَ شَارَكَوا الْمُحْمَّدِ فِي حِلْمِهِ، وَلَكِنَّ كَمْ يَلْغُونَ؟

سوف أتفاءل فأقول إنهم واحد في كل ألف. حسناً، هؤلاء يستحقون التقدير والاحترام، ولكنهم لا يغيرون المعادلة لأن الغالبية العظمى من الطائفة وقفت مع السفاح وكانت جزءاً من حملته الظالمة على الشعب السوري، فمن خالف ذلك الإجماع من الطائفة فهو ضحية مثلنا يستحق الرثاء، وببقى الحكم على حاله: إن الطائفة النصيرية بغالبيتها عدو لسوريا وخصم

لقد استباحت الطائفة النصيرية سوريا نصفَ قرن كاملاً من الزمن، خمسين سنة عَلَّتْ علينا فيها عُلوًّا كبيراً وسامِّتنا فيها الخسَفَ والهوان.

احتكرت السلطة وأهانت الناس واستباحت ثروات الوطن، وعليها أن تدفع الثمن: نصف قرن من التهميش والاستبعاد، عَيْناً بعينِ وسِنَّا بسنّ، والبادئ أظلم.

سوق ت تعرضون - يا أحرار سوريا - إلى كل شكل من أشكال الضغط والإبتزاز لكي تسمحوا باستمرار سيطرة النصيريين على مفاصل البلاد.

سوف يحرصن أعداء سوريا في المستقبل (كما حرصوا في الماضي) على أن يكون السلطان الحقيقي للنصيريين وأن يبقى الحكم في أيديهم، ولو من وراء ستار. لو استجبتم للضغط والإبتزاز وقبلتم بما يريدكم أعداؤنا فعلى الثورة وعلى مستقبل سوريا السلام، فلن تكون الأيام القادمة خيراً مما مضى من أيام، وسوف نعود - لا قدر الله - إلى القهر والذل والعذابات والآلام ما لا يعلم عدده إلا الله من أعوام.

* * *

يا أصحاب مؤتمر العيش المشترك:

دعوكم من المؤتمرات ولا تخافوا من التجاوز في القصاص، فما عرف التاريخُ المسلمين إلا رحماء متسامحين، وإن صحائفه لتفيض بالأخبار التي تصوّر تسامحهم وسلامة قلوبهم مع ما ألقوه من أعدائهم على الدوام من الغدرات والفظاعات.

لن يؤذني أحرارُ سوريا برئاً من أي طائفة إن شاء الله، ولن يُهدر دُمُ أحدٍ من النصيريين بغير حق، ليس حباً بهم، فلا والله لا نحبهم، وإنما حباً بديننا والتزاماً بشرع ربنا الذي نهانا عن الظلم حتى مع المعذبين.

أما ما فوق ذلك - من مودة وتسامح وتعايش وشراكة كاملة في الوطن - فلا يطلبه منا عقل ولا عدل ولا دين، ولن يرضي به بعد كل الذي كان إلا المغفلون.

أعیننا بالله أن نكون من المغفلين.

المصادر: